البيان

السنة الاولى — الجزء الحادي عشر

١ نوفمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

وهذا الموضع من الاصول المهمّة التي لا بدّ من الاحاطة بها للوقوف على سرّ الوضع وتحدّي العرب في مآخذ الفاظها وتقليبها على ما يراد بها من وجوه المعاني واليهِ يرجع اكثر ما نحن فيهِ من امر الزيادة والاستئناف في الوضع لِما أن لغة العرب لغةٌ اشتقاقية كما سبق بيانهُ غير مرّة فلا بدّ قبل التفرّغ لتصرّف في اوضاعها من استقراء امثلة المشتقّات والتحقق من معانيها لتمييز مشتبهاتها واقرار كل مثالٍ منها في نصابهِ . وهذا مما المّ علماء السلف ببعضٍ منهُ يومئون اليهِ من عُرض مباحثهم ولكنّا لم نجد من توفر عليهِ وتقصّى امثلتهُ وكشف عن معنى كل واحدٍ منها لانهُ لم يبدُ لهم وجه الحاجة الى ذلك اذ كانوا لا يرون القياس في اللغة على ما تقدم لنا الالماع اليهِ . وهو ولا جرَم مبحثٌ طويل لا يسعنا الاتيان عليهِ في هذا الموضع ولكنا نذكر اقرب تلك الامثلة من مَظِنّة الحاجة واكثرها دورانًا في الكلام على قدر ما تعين عليهِ الحافظة الضعيفة ويتسع لهُ حال هذه العجالة ونَكِلُ ما بقي منهُ لاهل العلم من جهابذة

هذا اللسان يوفّونهُ قسطهُ من البحث والنظر والله الهادي الى قصد السبيل

فمن تلك الأمثلة ايضاً وزن فُعلة بالضمّ وتأتي اسماً للطائفة المجتمعة من الشيء كالصُبرة من الطعام اي الحنطة والكُتبة من التراب والطعام وغيرهِ ومثلها الصُوبة والكُدسة وهذه الاخيرة ذكرها في اللسان في (ص وب) وكذلك الكُومة وهي ما جمعتهُ من ذلك وعلّيتهُ والرُكمة وهي الطين المجموع والكُتلة وهي ما جُمع من التمر والطين وغيرهِ والجُمّة وهي مجتمع شعر الرأس وكذلك من ماء البئر والجُثوة وهي الحجارة المجموعة والحُزمة وهي ما جُمع وشُدّ من ثيابٍ او غيرها والجُرزة وهي الحزمة من البقول ونحو ذلك . ومن هذا القبيل العُصبة من الرجال والخيل والطير وهي ما بين العشرة الى الاربعين والسُربة من الخيل وهي قريبٌ منها والرُجلة من الناس وهي الجماعة منهم والجُملة وهي الجماعة من كل شيء . ويتصل بهذا الباب قولهم الخُبزة والقُرصة والطُلمة لاستدارتها واجتماعها . وكذلك العُقدة في الحبل وغيرهِ والعُجرة وهي العقدة في الخشبة ونحوها والأُبنة وهي العقدة في العود والبُجرة وهي العقدة في البطن والوجه والعنق والعُقصة وهي العقدة في القرن والقُرنة وهي الطرف الشاخص من الشيء الى غير ذلك

وتأتي فُعلة ايضاً للشيء القليل او للبقية من الشيء بعد ذهاب معظمهِ كالنُزفة والجُرعة للقليل من الماء والنُدفة للقليل من اللبن والنُطفة وهي الماء القليل يبقى في دلوٍ او قربة والصُبّة والكُثبة للبقية من الماء واللبن والعُفّة لبقية اللبن في الضرع والعُقبة لبقية المرق في القِدر والنُدرة وهي كل ما اغدرتهُ اي تركتهُ وابقيتهُ من شيء الى غير ذلك . وتشركها في هذا المعنى فُعالة المضمومة الفاء على ما سيجيء

وتكون بمعنى الشيء يؤخذ برّة ولا يخفى ان من لوازمهِ الاجتماع والقلة كاللُقمة وهي مقدار ما يوضع في الفم والأُكلة وهي بمعناها والقُضمة وهي ما يؤخذ باطراف الاسنان فيُقضَم والغُفّة وهي ما يتناولهُ البعير بفيهِ على عجلة والمُضغة وهي القطعة من اللحم وغيرهِ بمقدار ما يُمضَغ والسُفّة وهي مقدار ما يملأ الفم من السويق ونحوهِ ومثلها القُمحة . وكالجُرعة من الماء وهي مقدار ما يُجرَع والنُغبة وهي بمعنى الجرعة والشُربة وهي مقدار ما يُشرَب برّة وكذلك البُلعة من الشراب والحُسوة من المرَق والغُرفة من الماء وغيرهِ وهي مقدار ما يُغرَف منهُ والحُفنة من الشيء وهي مقدار ما تأخذهُ براحتك وقيل هي ملء الكفين والقُبضة وهي ما قبضت عليهِ بكفك والقُبصة وهي ما اخذتهُ بين اطراف الاصابع واللُمظة وهي من السمن ونحوهِ الشيء اليسير تأخذهُ باصبعك والنُتفة وهي ما تنتفهُ باصبعيك من حشيشٍ او صوفٍ ونحوهِ والمُدّة من الحبر وهي مقدار ما يأخذهُ القلم من الدواة الى ما جرى هذا المجرى . ومن هذا قولهم الدُفعة من المطر لما ارسلتهُ السماء برّة وهي ايضاً ما انصبّ من سقاء او اناء برّة ومثلها الدُفقة . وشذّ من هذا الباب قولهم مَرَز من اللجين مِرزةً بالكسر وهي ما يؤخذ بين اطراف الاصابع ذهبوا بها مذهب القطعة وكان حقها الضمّ على حدّ القُبصة مثلاً كما شذّ من باب فِعلة المكسورة الاول قولهم الرُمّة للقطعة من الحبل والخُبّة للخرقة المستطيلة من الثوب نحو العصابة والحُزّة للقطعة من اللحم ونحوهِ تُقطَع طولاً والجُلفة وهي القشرة تُقشَر من ظاهر الجلد فانهنّ جئنَ بالضمّ وكان حقهنّ الكسر على قياس اخواتهنّ . على انهُ جاء في الرمّة ايضاً الكسر وفي الخبّة التثليث . وجاءت الفاظٌ من البابين بالفتح ذهاباً بها الى معنى المرّة فتكون من التسمية بالمصدر

ومن معاني فُعلة ايضاً ان تكون اسماً لما توسط شيئاً كالوُصلة لما يوصل به بين الشيئين والرُقعة لما يُرقع به الثوب والاديم والكُلية وهي رقعةٌ مستديرة في المزادة والرُؤبة وهي القطعة من خشب يُرأب بها الاناء اذا انصدع واللُحمة وهي ما يلحم به سَدَى الثوب والحُبكة وهي السير الذي يضمّ الرأس الى الغراضيف من القَتَب والرحل . ويقال بين الرجلين شُبكة رَحِم وهي القرابة تجمع بينهما وكذلك بينهما قُربةٌ وسُهمةٌ وبينهما شُجنة رَحِم ولُحمة نسب . ومن ذلك قولهم الحُفرة والبُؤرة والنُقرة والثُلمة والثُقبة والخُربة وهي الثقبة تكون في الاديم والأُذن وغيرهما والخُرتة وهي ثقب نحو الفأس والابرة والفُرضة وهي من النهر ثلمةٌ يُستقى منها ونحوها الثُرعة والفُرضة ايضاً محلّ النِقس من الدواة والفُرجة وهي الجوبة في الحائط والجُفرة وهي جوف الصدر . ويتصل بذلك نحوُ الخُطوة وهي مسافة ما بين القدمين والشُعبة وهي مسافة ما بين القرنين والغصنين والكُتبة وهي ما بين الغرزتين من الخياطة وكذلك الخُرزة والخُصفة . ونحوُ المُدّة وهي الوقت بين الوقتين وفي مذهبها الفُرصة والنُهزة والخُلسة وهي متقاربة المعاني والمُهلة والهُدنة والنُفسة وهي بمعنى المُهلة الى ما شاكل ذلك

وتأتي كلٌّ من فِعلة وفُعلة اسماً للافتعال كالعِبرة والفِدية والفِرية والرِيبة والرِفعة والرِعدة والرِعشة والهِزّة والردّة والشِدّة والعِزّة والحِشمة والعِصمة والغِيبة والغِيلة وهو بابٌ واسع . وكالفُرقة والقُدرة والحُرقة والكُربة والغُمّة والغُربة والنُجعة والعُمرة والخُدعة والشُبهة واللُبسة والمُلطة والمُرضة والحُبسة والخُلسة والحُرمة وغير ذلك . وربما جاءت الفاظٌ بالوجهين كالخِبرة والخُبوة والنِسبة وهي قليلة . ومن الغريب أن صاحب القاموس جعل الدُلجة اسماً للإدلاج الرباعيّ وهو

السير من اول الليل وكان حقها ان تكون اسماً للادّلاج بالتشديد وهو السير من آخرهِ وفي لسان العرب ما يخالفهُ فانهُ فسر الدُلجة بسير السحر لكنهُ جعل الفعل من هذا أدلج الرباعيّ على عكس ما في القاموس وتمثل عليهِ بقول الحطيئة

آثرتُ إدلاجي على ليل حرّة ... هضيم الحشا حُسّانة المتجرّدِ

البيت اخرم — ولا يخفى ان الاليق بتفسير الإدلاج هنا السير من اول الليل والاّ لم يستقم مراد الشاعر ثم لم يلبث ان روى عكسهُ ثم عاد الى قولهِ الاول فجاء في هذا الموضع بخلطٍ عجيب. والصحيح وهو الذي عليهِ محققو اهل اللغة ان الادلاج بالتخفيف السير من اول الليل وبالتشديد السير من آخرهِ وعليهِ اقتصر في الأساس وجعل الاسم من الاول الدَلجة بالفتح ومن الثاني الدُلجة بالضمّ وهو الموافق للقياس . على أن صاحب اللسان انما ينقل كلام غيرهِ وقد علمت اختلافهم في كل قضيةٍ تناولتها ابحاثهم حتى لا تكاد تخلو لهم مسئلةٌ عن خلاف ولو كانت من النقل المحض فلا حول ولا قوّة الاّ بالله

ومن ذلك مثال فعيلة ولهُ معانٍ كثيرة يرجع جلّها الى معنى المفعول نحو الذبيحة والنطيحة والفريسة والطريدة والزريبة والحصيدة والجنيبة والرميّة والسبيّة وهي أسماء وُضعت هذا الوضع لا صفاتٌ لان فعيلاً من الوصف اذا كان بمعنى المفعول لا تلحقهُ الهاء وليست منقولةً عن فعيل خلافاً لما تقولهُ النحاة لمجيء كثيرٍ منها لا فعيل لهُ كالفحيّة والغنيمة والرغيبة والوديعة والذخيرة والخليقة والبريّة وغيرها

ويكثر مجيء الفاظٍ من هذا الباب لما يُتّخذ بالمزاولة كاسماء المطاعم من نحو العصيدة والثريدة والنقيعة والحريقة والصبيرة والرغيدة والعيشة والبكيلة وهي اسماء كثيرة وكبعض اسماء المنسوجات من نحو النسيجة وهي الشُقّة من المنسوج

ما كان والسبيبة وهي الشقة الرقيقة من الكتان والسفيفة وهي النسيجة من خوص والشريجة وهي شيء من قصب يُسَلّ للحمام ومثلها الجديلة والشريجة ايضاً شيء من سَعَف يُحمَل فيهِ البطيخ ونحوهُ وهي التي تسميها العامة السريجة بالسين المهملة والشكيكة وهي السلة تُجعل فيها الفاكهة والوفيعة وهي مثل السلة تُتَّخذ من العراجين . ومن ذلك الشريطة وهي شبه خيوطٍ تُفتَل من الخوص او الليف والفتيلة وهي ما فُتل من الكُرسُف ونحوهِ والضفيرة وهي الخصلة المضفورة من الشعر ومثلها العقيصة والجميرة الى غير ذلك . وكالمصوغات من نحو الصنيعة وهي النعل العريض والسبيكة وهي القطعة المذوَّبة من الذهب والفضة كذا عرّفوها والصواب القطعة المُرَغة والصليحة وهي سبيكة الفضة المصفّاة والسفيفة وهي الضربة الدقيقة الطويلة من الذهب والفضة ونحوهما ذكرها صاحب القاموس نقلاً عن الليث ولم يذكر الضربة في بابها ومقتضاها انها النقرة المضروبة فتكون مما نحن فيهِ

وكثيرًا ما تأتي فعيلة اسماً للمصدر نحو العزيمة والصنيعة والنصيحة والخديعة والقطيعة والشبيبة والحميّة والاذيّة والشتيمة والوقيعة وهي بمعنى الشتيمة والضيزة وهي العيب يُطعَن فيهِ والضغينة وهي الحقد والحسيكة والحسيفة وهما بمعناها والوضيعة وهي الخسارة والغفيرة وهي المغفرة وغير ذلك

ستأتي البقية

العرب

كانت البلاد العربية قد بُسطت وهادها وارتفعت انجادها وانخفضت اغوارها غيطانًا وتراكمت رمالها كثبانًا قبل ان انحسر الماء عن ارياض مصر